



أثر الإدمان الرقمي في تغيير الواقع العلائقي في المجتمع The impact of digital addiction on changing the relational reality in society

قناوي يمينة*

جامعة عين تموشنت - بلحاج بوشعيب (الجزائر).

البريد الإلكتروني المهني: yamina.guenaoui@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ النشر

2026/06/01

تاريخ القبول

2026/02/13

تاريخ الإيداع

2025/12/21

الملخص : يهدف هذا المقال إلى القاء الضوء على أهم التحولات، والتغيرات التي جاءت نتيجة الاستعمال المفرط للإنترنت والشاشات الرقمية والإدمان عليها، حيث أثر هذا على بنية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وحتى بين أفراد العائلة الواحدة، وكذا على طريقة استغلال الفضاء الخاص (البيت). وهذا من خلال معطيات الملاحظة وتحليلها، بغية الوصول إلى كشف واقع المجتمع الجزائري في ظل المد الافتراضي الرقمي. حيث توصلت الدراسة التحليلية من خلال الملاحظة أن هناك تحول كبير في بنية المجتمع على المستوى العلائقي، وكذا في هندسة أو تشكل علاقات اجتماعية جديدة مبنية على الفردانية وغلبة الجانب المادي على الاجتماعي والإنساني، كما تغيرت مكانة الأسرة ودورها أمام تحديات التي أصبح يفرضها العالم الافتراضي. فعلاقة الفرد بالآخر وبالفضاء عرفت منحى آخر جديد غير ماكن عليه في الواقع. فالمنافسة الصامتة بين صمود الواقع وقوى المواقع تبقى تميز المجتمع الذي يستهلك أفردته كل ما يأتي من الآخر.

الكلمات المفتاحية : الإدمان الرقمي، العلاقات الاجتماعية، التفاعل الاجتماعي، الفردانية.

Summary: This article aims to shed light on the most important transformations and changes that have resulted from the excessive use of the Internet and digital screens and addiction to them, as this has affected the structure of social relations between members of society, as well as the way private space is exploited this is achieved through observation and analysis, aiming to uncover the reality of Algerian society in the digital age. The analytical study concluded that there has been a significant shift in the social structure at the relational level, as well as in the formation of new social relationships based on the material aspect has overshadowed the social and human, and the status and

* المؤلف المرسل

role of the family have changed in the face of the challenges posed by the virtual world. The individual's relationship with others and with the digital world has taken a new turn, different from what it was in reality.

Keywords: digital addiction, social relations, social interaction, individualism.

مقدمة:

مع التطور التكنولوجي الجديد للمعلومات، والتواصل الرقمي الذي شهدته المجتمعات، نتيجة الثورة الرقمية التي اضحى فيها العالم قرية كونية صغيرة. أصبح يتواصل فيه الافراد ويتفاعلون مع بعضهم البعض من خلال المنصات الشبكية، حيث أضح هذا العصر يعرف بالعصر الرقمي، أين يمكن للأفراد الترحال، والتجوال في العالم إلكترونيا (انترنت، شاشات). فالرغم الفوائد التي جاءت بها التكنولوجيا الرقمية كالانفتاح السريع على العالم من خلال معرفة الأخبار، والاطلاع على المعلومات والأبحاث المختلفة، الإتصال والدردشات مع الآخرين. إلا أن الاستعمال المفرط للإنترنت، والشاشات الرقمية والإدمان عليها من طرف الأفراد، أثر هذا بنية المجتمع وتماسكه، كما أثر على علاقة الأفراد فيما بعضهم، فمن العلاقات القوية التي أساسها التماسك، والتضامن والترابط بين الأفراد، إلى علاقات سطحية في التعامل والتفاعل، قوامها المادية والنفعية، كما قد يصل الوضع عند البعض إلى نوع من الطلاق الروحي بينه، وبين المحيطين به والذي يتجلى في العزلة الاجتماعية، الانسحاب من الحياة الاجتماعية الواقعية نحو المواقع الافتراضية... الخ. كما قد يمتد أثر هذا إلى تهديد الصحة الجسدية، العقلية والنفسية عند المدمنين على استعمال الشاشات الرقمية. إن جدلية التوفيق بين غزو الثورة الرقمية، وخصوصية الثقافة، العادات، التقاليد، اللغة... الخ. جعل المجتمع في عملية مد وجزز للتوفيق بين العالم الواقعي والعالم الافتراضي.

الإشكالية:

يقول Albert camus: تغير كل شيء اليوم حتى الصمت صارت له تداعيات مخيفة. توحى المقولة بأن ربح التغيير والتحول هبت على كل الشيء في المجتمع، فالسكون والإستقرار الذي كان يميز العديد من جوانب الحياة، باعتبارها الأسس الضرورية لتقدم

المجتمع وتطوره، والتي تنسند على مجموعة من المعطيات والقواعد التي تسمح بالنمو والتقدم المستمر في البنيات المجتمع، والأنساق الاجتماعية في ظل التوفيق بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون، أصبحت تحمل معنى آخر وتنبأ بوضع جديد.

إن هذا الواقع الجديد الذي أصبح يلاحظ في المجتمع من خلال العزلة عن الآخرين رغم التواجد معهم في نفس المكان، وكأن الأفراد تحولوا إلى " روبوتات بأجساد بشرية"، أدى إلى الكثير من مظاهر السلبية كضعف التواصل والتفاعل الاجتماعي، تفكك العلاقات الأسرية وضعفها، تداخل الحدود بين الجنسين، تغير نمط الإستهلاك في جميع الجوانب، ضعف القيم والمبادئ، التقليد، التفاهة... الخ. لقد تغيرت ملامح المجتمع إلى حد لا يعرف الحدود، فالتهافت على استعمال التكنولوجيا الرقمية وشبكات الأنترنت عرفت بدايتها لكن لا أحد يمكنه توقع النهاية في تطورها ولا في أثارها السلبية على الأفراد خاصة نتيجة سوء الاستعمال، فمثلا استفحال ظاهرة الإستعمال المفرط للهاتف المحمول طوال اليوم في جميع أماكن، ومن طرف معظم من يمتلكونه، حتى أصبح يعتقد أنه ستستحيل الحياة بدونه (على حد تعبير الكثيرين) لدلالة على ذلك. لذا بات من الضروري أن يتم تسليط الضوء على أهم تجليات ظاهرة الإدمان الرقمي على خصوصية الحياة الفردية والجماعية للأفراد، وكذا أثارها السلبية في إعادة تشكيل ورسم هندسة جديدة لواقع العلاقات الاجتماعية في ظل المد الافتراضي، وكذا على بنية الفضاءات الخاصة (البيت، الغرف...) المستغلة من طرف الأفراد. إن هذا التحول والتغير الصامت الذي أصبح يظهر في المجتمع نتيجة الإدمان الرقمي من خلال سيطرة الشاشات الرقمية وخاصة الهاتف النقال على حياة الأفراد، هو الذي دفعنا إلى مقارنة ما يحدث في المجتمع من خلال الملاحظة اليومية، ثم تحليل المعطيات لفهم واقع المجتمع الجزائري. من خلال معرفة كيف يتجلى تأثير ادمان الشاشات الرقمية (الادمان الرقمي) على تغيير الواقع العلائقي في المجتمع؟ وما هي القراءة السوسيولوجية التي يمكن أن نفهما من هذا؟

1. مدخل مفاهيمي:

1.1 الإدمان الرقمي : ينعت بإدمان الشاشات الرقمية أو الإدمان الإلكتروني الذي يعرفه كيمبرلي يونج بأنه: "الإستعمال المفرط للإنترنت الذي ينتج عنه مشكلات اجتماعية ونفسية، إضافة إلى صعوبات في العمل والدراسة". (المسعد، 2020، صفحة 6). كما يعرف بأنه: "الاستخدام المفرط للإنترنت الذي يولد أعراضا جسمانية ونفسية واجتماعية تعتبر علامات ومؤشرات واضحة على الاضطرابات الإكلينيكية". كما ينظر له أيضا بأنه حالة من انعدام السيطرة والاستخدام المفرط للمواقع الإلكترونية، مما يؤثر تأثيرا سلبيا على ممارسة الفرد الطبيعية لمهامه الحياتية، بحيث تعثره نتيجة لذلك اضطرابات نفسية وسلوكية واجتماعية قد تتشابه مع غيرها من الإضطرابات التي تعترض الشخص المدمن للعقاقير والمواد المؤثرة نفسيا وسلوكيا. (المسعد، 2020، صفحة 7). فإذا كانت هذه التعاريف تتفق على فكرة الإستخدام المفرط للإنترنت الذي أصبح لا يتحدد بوقت أو لا بمكان، فإن هذا سيوحي بأن هناك جملة من البرامج والتطبيقات المتاحة على هذه الشبكات التي أصبحت تغري من يستعملها:

1.1. 2 أنواع الإدمان: إن إدمان شبكات الأنترنت، يختلف باختلاف الأشخاص المتصلين بالشاشات الإلكترونية، وخاصة الهواتف النقالة منها. حيث يتجسد الأدمان في عدم السيطرة على النفس في تصفح المواقع الخاصة بالأنترنت دون انقطاع مثل : وسائل التواصل الاجتماعي، الألعاب الإلكترونية، إدمان التسوق، الحصول على المعلومات، المواقع الإباحية... الخ، حيث قد يكون هذا نتيجة ضعف الروابط الاجتماعية عندما لا يؤدي المجتمع دوره في تنظيم مختلف العلاقات، والتفاعلات بين الأفراد وحتى المؤسسات، مما يتسبب هذا في فقدان السيطرة على النفس في مجالات شتى ومن بينها سوء استعمال الأنترنت حيث يرى كريستيان بن لخضر: "إن مجتمع الإدمان المعاصر هو مزيج من مكونات عدة، تتخلل جميع الطبقات الاجتماعية" (دانيال، 2022، صفحة 235).

3.1.1 أثار الإدمان الرقمي: كثيرا ما ساهم شراء هاتف نقال، أو لوح الكتروني، أو أي وسيلة أخرى في نشر الفرح والغبطة عند من يشتريها، حيث كل ما كانت علامة أو ماركة جهاز الهاتف المحمول راقية ومشهورة كلما ما كان محط اعجاب وتفاخر بين الأقران، أو الشعور بالتميز والتفاخر، وكلما كانت برامج وتطبيقات التصفح والتواصل ذات نوعية وجودة عالية، الأمر الذي يجعل الكثيرون لا يستعطون الانفصال عن اجهزتهم، ولا عن عالم الأنترنت، حيث يصبح الحال يماثل ما وصفه **ميشال ديمو سيرجي** في كتابه مصنع الأغبياء الرقمي > كثير من الصور والأصوات وضرب الإغواء والإستمالة تسبب عجزا في التركيز وأعراضا في فرط النشاط والسلوك الإدماني» (دانيال، 2022، صفحة 12).

فإذا كانت هناك مميزات نافعة وإيجابية لهذه الشبكات الرقمية، سرعة التأثير من خلال الغاء حاجز الزمان، وسرعة الإنتشار بسبب الغاء حاجز المكان، الحق في تداول المعلومة، المصداقية، الشفافية... الخ. فإن من سلبياتها نجد (العريشي وبننت عبد الرحمان محمد الدوسري، 2015، صفحة 66) إضاعة الوقت، الادمان واضعاف مهرة التواصل (العزلة عن الاسرة، المشاركة الفعالة في المجتمع...). ظهور لغة جديدة بين الشباب (لغة تجمع بين لغتين وحروف، مثلا كتابة جملة عربية بحروف فرنسية مع إضافة أرقام...) حيث تظهر خطورتها في أنها تترسخ عند الجيل الجديد مما يزيد في الهوة بين الأجيال السابقة والناشئة. ، إنعدام الخصوصية، نشر بعض الأفكار المضللة، فقدان الحس الأخلاقي، نشر الشائعات والتضليل والتفاهة. كما أحدث هذا تغييرات جذرية في نمط العلاقات الاجتماعية التقليدية التي كانت تبنى من خلال التفاعل واللقاءات الفعلية الواقعية بين الأفراد إلى علاقات افتراضية تتم عبر المنصات الرقمية.

2. العلاقات الإجتماعية : تتشكل العلاقات الاجتماعية من خلال التفاعل القائم بين الأفراد بهدف اشباع الحاجات المتعددة التي يحتاجها في حياتهم اليومية. لذا تعبر العلاقات الاجتماعية الجيدة مهمة وذات فائدة لحياة الأفراد النفسية والاجتماعية. فالتفاعل المستمر

بين الأفراد من خلال التعاون، والتنافس وحتى الصراع يجعل الفرد يعيش تجارب الحياة بواقعية مما ينمي عنده القدرات الحسية، والعقلية، والمعرفية التي تجعله عضوا فاعلا في المجتمع. فالفعل الاجتماعي حسب ماكس فيبر: "هو السلوك الإنساني الذي يحمل معنى خاص يقصد إليه فاعله بعد أن يفكر في رد الفعل المتوقع من الأشخاص الذين يواجه اليهم سلوكه" (العريشي والدوسري، 2015، صفحة 102).

3. التفاعل الاجتماعي: تقوم الحياة الاجتماعية على التفاعل بين الأفراد، ويتمثل هذا في التعاون بينهم لتحقيق الأمن والتعايش، فعملية تواصلنا الاجتماعي تتم من خلال الفعل وردة الفعل اتجاه من حولنا. لكن من خلال التواصل الرقمي تم استبدال التفاعل الاجتماعي الذي كان يتم بين الأفراد وجها لوجه، بالتفاعل عبر الاتصال التقني، فعند فقدان القدرة على التواصل الفعلي مع الآخرين فإن الواقع الافتراضي يعمل على جعل الأفراد بعيدين عن البيئة الاجتماعية، وعن الإدراك الحسي للعالم المادي، حيث يصبح الواقع باهت وغير واضح. حيث تقول خبيرة العلاقات الإنسانية **إلين ما كفيل**: "إن مسألة التواصل بينك وبين الآخر، ليس مجرد كم تحدثه في اليوم عبر الهاتف أو كم ترأسله إلكترونيا، وإنما أهمية الاتصال والعلاقة تركز بشكل رئيس على الجلسة الهادئة وجها لوجه، لأننا بالنهاية نحن مخلوقات وجدنا لنقيم علاقات، فلنجعل التواصل البشري فاعلا أكثر من التواصل عبر الكمبيوتر أو غيره" (طربية، 2011، صفحة 32).

2. هندسة العلاقات الاجتماعية من الواقع الى المواقع:

لقد تمكن الفضاء الرقمي باعتباره مجالا، وبنية افتراضية تعتمد على وسائط رقمية وتكنولوجيا المعلومات من إتاحة الفرصة لجميع الأفراد في المجتمع بمختلف مستوياتهم، دياناتهم، ثقافتهم، أعمارهم... الخ للتواصل والتفاعل مع بعضهم البعض من جهة، وبتصفح المحتوى الرقمي المتاح على شبكة الانترنت من جهة أخرى. حيث عملت الانترنت على تعميم المعلومة، التداخل بين الفضاء العمومي والخاص، وإلغاء رسم الحدود بين الجنسين،

وكذا خصوصية الاستخدام من خلال سرية الاستخدام (كلمات المرور)، أو الاغفال (Anonymat) من خلال تقمص شخصيات وهمية يتداخل فيها السن والجنس... حسب نية وضرورة الاستعمال.

ولذا يجب الإقرار بأنه إذا كان للفضاء الرقمي العديد من المزايا التي أدت الى تغيير العالم من جميع المناحي، من خلال سرعة المعلومة، وتوفرها وتداولها، فإن له من السلبيات أو الأضرار التي جعلته يشكل خطرا على المجتمعات. بحيث أثر هذا على بنية المجتمع وقيمته ونوعية العلاقات والتفاعلات التي تحدث بين الأفراد. فمن الانسحاب الاجتماعي من العلاقات الإجتماعية الواقعية (مثلا: زيارة المجاملة في بعض المناسبات، عيادة المريض...)، إلى نمط آخر من التفاعلات التي أصبحت تختصر في رسائل نصية أو فيديو هات وصور. وبالتالي ساهم هذا في بزوغ الفردانية والإنعزال الطوعي من المجتمع. وهذا من خلال الإنغماس في الإستعمال المفرط للإنترنت. إن هذا الوضع أدى إلى تغيير واقع المجتمع الجزائري حيث أصبح التنبؤ بما سيحدث مستقبلا فيه مستحيلا، فمن خلال ملاحظات اليومية والمعايشة الواقع يمكن إستقراء ما يلي:

1.2 تقاسم للفضاء واختلاف الآراء: شكل إستعمال المفرط للإنترنت، أو الإدمان الرقمي هوة بين أفراد المجتمع، خاصة داخل الأسرة باعتبارها نواة المجتمع، حيث اضحى البيت مكان تسكنه أجسادا فقدت السيطرة على كبح رغبة التوقف عن التواصل الافتراضي، فأصبح حمل الهاتف وتصفحه وكأنه عضو حيوي من أعضاء الجسم لا يمكن الاستغناء عنه، يستدعي الجلوس واستغلال حيز مكاني محدد. وبالتالي أصبحت كل الفضاءات، والأماكن في البيت مقسمة أو مجزأة بين الأفراد، فمثلا حتى على طاولة الأكل لا يتواجد الهاتف كآلة فقط بل حتى أن عملية التصفح أو التواصل تبقى مستمرة، فالتفاعل داخل المكان مع الآلة (الهاتف)، وبسبب التكنولوجيا الرقمية جعل من الإنسان عبدا طائعا للآلة شأن السروال تحت المكواة (طربية، 2011، صفحة 154). الأمر الذي غير في نوعية العلاقات بين الأفراد في

البيت، خاصة حول تملك الفضاء الداخلي أو الخاص، وذلك عندما يتعلق الأمر بجودة مكان تدفق الأنترنت أو شبكة التغطية الرقمية، حيث أن هذا الوضع لم يعد يخص أهل البيت وحدهم بل يتعدى إلى الضيوف. وهنا يجزنا الحديث الى أنه في وقت الذي كان يسأل الزائر عن اتجاه القبلة أصبح يسأل عن مكان جودة التغطية أو عن كلمة السر الخاصة بالأنترنت.

حيث أصبح التواجد في نفس الفضاء لا يعني بالضرورة أن يكون هناك تفاعل، وتقاسم مشترك لنمط حياة معين. فالكثير من المناسبات العائلية، واللقاءات، والإجتماعات أضحت فضاءاتها تشبه فضاء "مقاهي الأنترنت". فالهواتف لا تبارح أيدي من يملكها، حتى أصبحت هذه الأجهزة بمثابة عضو من اعضاء الجسم، فالكل مجتمع في رقعة جغرافية محددة المعالم، لكن لا كلام يسمع، ولا اراء تطرح، ولا أفكار تناقش، كل واحد في عالمه الخاص (الافتراضي). الكل مهتم بجديد ما يحدث حوله من خلال التصفح والتفقد المستمر لقائمة المتصلين في المسنجر، وكذا الرغبة المستمرة في فتح البريد الإلكتروني بين اللحظة والأخرى. وبهذا يتواصل الزمن من خلال الغاء فكرة التقيد أو تحديد احترام الوقت اللائق للاتصال حسب التقاليد والمخيل الشعبي، التي عملت على إرساء الحدود بين الأفراد ونظمت العلاقة بينهم من خلال ترسيخ قيم احترام الآخر (عدم الازعاج الاخرين في الليل إلا عند الضرورة)، لكن صمت التواصل الآلي غير هذه النظرية لتصبح الشبكات تسهر على إيصال كل الرسائل في وقتها بفضل الاتصال الإلكتروني، وبالتالي أصبح التواصل الاجتماعي وجها لوجه في حالة سكون وكمون.

2.2 هيمنة التفاعل المادي على الاجتماعي: لعبت العلاقات الاجتماعية الواقعية بين الأفراد دورا مهما في صقل شخصيات الأفراد من خلال غرس قيم التعاون والتضامن والتآزر، وكذا من خلال العمل على حب وتقبل الآخر، لأن قوة الفرد لا يمكن أن تتحقق إلا بقوة الانتماء إلى الجماعة، لأنها تبقى المرجعية والنواة التي ينطلق من الفرد ويعود إليها في

أوقات الشدة وأوقات البهجة. لكن التطور الذي شهده العالم عمل على إضعاف بنية الجماعة من خلال السعي إلى إبراز الفرد الواحد، فالفرديانية التي جاءت بها التطورات الحضرية خاصة عملت على بروز الفرد على حساب الجماعة، الأمر الذي ساهمت في تعميمه الثورة الرقمية، أو الثورة التقنية الحديثة التي تكمن أهميتها في دورها، باعتبار أن التفاعل الإلكتروني أصبح وسيلة للتحرك والتمكين، بحيث يجعل الناس يتحدثون ويعبرون بحرية أكبر قياساً على ما يستطيعون فعله في مواضع أخرى (طربية، 2011، صفحة 34).

ولذا فالثورة الرقمية صُنعت المجتمع ما بعد الصناعي، صنعت المجتمع الذي جاء بعد اسهامات الثورة الزراعية والصناعية. فبفضل الثورة الرقمية أضحى العالم يتميز بأن كل شيء أصبح فيه يتم عن طريق الأنترنت، فالتعليم، الترفيه والعناية بخيال واجسام البشرية يتم بأقل تكلفة في الجهد والوقت. وبهذا تصبح التفاعلات المادية هي التي تميز المجتمعات والأفراد على حساب التفاعلات الاجتماعية، ولذا فإنه إذا كانت الغاية من الرأسمالية الرقمية هو التفاعلات المادية وتأثيرها على التفاعلات الاجتماعية. لذا فإنه للزيادة في الأداء، فإن الرأسمالية تعمل على إبطال مادية العلاقات الإنسانية وحرمانها من جسدها (دانيل، 2022، صفحة 11).

3.2 بزوغ الفرديانية والإستقلالية: من خلال الملاحظة اليومية للأفراد في مختلف الوضعيات والفضاءات وهم يتصفحون هواتفهم باهتمام بالغ، يوحي هذا بأن الفرد قد غادر الواقع إلى العالم الافتراضي، ليترك الجسد قابعا في رقعة جغرافية تتحدد معالمها بشدة التدفق الأنترنت. فإدما ان الأنترنت والإنسلاخ عن الواقع يصبح الفرد في حلقة مفرغة بين رفضه للواقع وهروب منه وبين العالم الافتراضي الذي لا يمكنه البقاء فيه فعليا، فمأساة الفرد الضائع ترجع إلى أن الأفراد قد اضحوا اليوم في قبضة مجموعة واسعة من الارتباطات والعلاقات، في حين فقدوا أي انعكاس منسجم، مترابط لمغزى تلك العلاقات في النظرة التصورية والعاطفية إلى الحياة" (جون، بدون سنة، صفحة 78).

ففي اللحظة التي يحاول الفرد فيها أن يبحر في عالمه الخاص محاولاً لإيجاد فيه نفساً تتوق إلى الكمال وتحقيق الذات التي تجعله يعيش في واقع صورته بكل إرادة بعيداً عن تدخل الآخرين وبدون أي ضغط أو إكراه، يصبح الرأس مال الاجتماعي (العائلة والأصدقاء...) ثانوياً وغير ضروري بالنسبة له، فحسب علم الاجتماع الأمريكي في كتابه "لعبة البولينغ وحيد". "إن الطفرة الهائلة للفردانية التي اجتاحت المجتمعات الغربية بعد الحرب تدين بكثير للتلفزيون" (دانيال، 2022، صفحة 52).

من خلال هذا نلاحظ أن التحولات والتغيرات التي ساهمت في بروز الفرد كفاعل مستقل له حضوراً بعيداً عن الجماعة، أو محاولاً أن يتظاهر بعد أهمية العلاقات الاجتماعية باعتبارها ثانوية، لأنه تمكن من خلق عالم من خلال تصورات ومعتقداته، واستطاع أن يكون له حضوراً كما يريد هو لا كما يريد الآخرون أن يكون، فإذا كان الواقع قد يلزم الفرد بقواعد وأسس وضوابط، فإنه في العالم الافتراضي يتحرر من كل هذا. لأنه يستطيع أن يخلق شخصية مثالية كما يريد الآخر دون عناء، ولذا يصبح التنافس على إشباع الذات وإرضاء الآخرين سهلاً من خلال الشاشات. فحسب (نتالي هاينتيش) تعمل الشبكات على تحفيز المنافسة لجذب الانتباه وعلى تحفيز السباق على التفرد، من خلال الإستفزاز والمبالغة والترويح عن النفس وحتى التمتع بقول ما لا يقال وفي اظهار ما لا يمكن تمثيله" (دانيال، 2022، صفحة 58).

2. 4 الأسرة للإنجاب لا للإنساب : لطالما كانت الأسرة النواة الأساسية لكل المجتمعات، وهي المؤسسة الأولى التي يسند إليها وظيفة الإنجاب والتنشئة الاجتماعية لإعداد جيل قادر على الاندماج في المجتمع. فلنجاح مهمة الأسرة يستوجب تضافر جهود المؤسسات الاجتماعية الأخرى، تتسند هذه الأخيرة على بعضها البعض في تأهيل، وتنشئة أجيال سوية في المجتمع، فصدقت مقولة: "حدثني عن أطفال أي أمة أ حدثك عن ماضيها وأصف لك حاضرها وأنبئك بمستقبلها" (محمد، 2008، صفحة 99).

لكن يلاحظ اليوم في كثير من البيوت هو أن الأسرة فقدت حميمية ودفع العلاقات والتفاعل المباشرة بين أفرادها. فالتجمع الجسماني بين الأفراد أصبح لا يعني بالضرورة وجود روابط اجتماعية فعلية، ومصادقية في التفاعل نتيجة تأثير الفضاءات الافتراضية على واقع العلاقات الاجتماعية. فالإنفتاح على عالم التكنولوجيا الرقمية، أبهرت كل من يمتلك جهاز الهاتف متصل بالإنترنت، ونظرا لعدم التمكن الصحيح في كيفية التعامل مع هذه الظاهرة الجديدة تقنيا من طرف بعض الأولياء، جعل حضورهم يحظى بمنزلة أقل في نظر الأبناء نتيجة التفوق في استعمال مختلف البرامج والتطبيقات، الأمر الذي يجعل الوالدين أحيانا يطلبون الإستعانة من الأبناء في كيفية التعامل مع هذه التقنيات الجديدة، مما جعلهم في تبعية تقنية لهم، وبالتالي أثر هذا جودة المراقبة والمراقبة الجيدة للأبناء. فالإستعمال المفرط للشاشات الرقمية، وخاصة الهواتف النقالة أصبح يتقاسمه الكبار والصغار. حيث تحولت الصالونات، غرف النوم، وحتى طاولات الأكل الى فضاء للتواصل مع الغير عن طريق الوسائط الإلكترونية، ففي كثير من الحالات أصبح الحديث لا يكاد يسمع بين أفراد نفس العائلة وكأنهم صم بكم، الكل يعتقد أنه يتميز عن الآخرين بخصوصية التواصل بعيدا عن الآخرين، فالحال يوحي بنوع من الإنسحاب الصامت من كل ما هو اجتماعي، حيث يماثل هذا ما يشير له (شيري تورك) في كتابه (وحيدا ضمن المجموع)، يعطينا الغلو في الإتصال إحساسا أننا متصلين خارج الحدود والثقافات واللغات.. والحال أننا منغلقيين على أنفسنا كل في كونه الافتراضي منفصل عن العالم» (دوغان ولابي، 2020، صفحة 49). ولعل هذا يتجسد وبوضوح عندما يتصفح الأفراد نفس المواقع ويتحدثون عن نفس المعلومات والأخبار المتداولة على الشبكات الانترنت. وفي بعض الحالات يتقاسمون نفس التعليقات أو الإعجاب، كما أنه في كثير من الأحيان يتأثرون ويأثرون بالنفس الدرجة نتيجة التنشئة المشتركة في البيت نفسه، فحسب ماري دوغلاس: " فإن انشاء المنزل قد ارتبط في النهاية بالتحكم في الزمن والفضاء لخلق بنية تحتية توطر المنزل باعتباره مشتركا" (هيدر، أ وميلر،

(2020، صفحة 153). فخصوصية الإنتماء، والإنتماء إلى الأسرة التي تميزها عادات وتقاليد وثقافة وهوية اجتماعية منبثقة من خصوصيا مجتمع الإنتماء، وكذا دورها في نقل المعرفة، والثقافة والتنشئة الاجتماعية بدأت تتلاشى مضامينها أمام هيمنة الثورة الرقمية على مختلف العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، فالنماذج العالمية الجديدة "المصنعة" للثقافات والهويات، والتفاعلات... الخ. التي أصبحت تنصدر العالم الافتراضي، جعلت الكثير من الأفراد في رحلة بحث عن الذات، فبين الواقع المعيش والمأمول، أصبح الأفراد يعيشون ثنائية الحياة الواقعية والحياة الافتراضية، بين الواقع والوهم، ساهم هذا في إحداث فجوة تواصلية وتفاعلية بين أفراد الأسرة الواحدة، تكون شدتها أقوى من آثار الفجوة الرقمية التي أصبحت تلاحظ بين مختلف أجيال المجتمع.

5.2. واقع لا الزمان ولا المكان: إن تواجد الأفراد ضمن حيز مكاني محدد وضمن فترة زمنية معلومة يجعله يعيش الواقع الفعلي، ويدخل في تفاعل مع الآخرين، لكن نتيجة الثورة الرقمية أصبحت ثنائية الوقت والزمن مجهولة الحدود، بمعنى أن الحدود الكونية والزمنية التي يحددها الليل، والنهار لم تعد موجودة في الفضاء الافتراضي، وذلك أنه يتم التداخل بين الليل والنهار حيث يضمن الإتصال الرقمي تواصل الأشخاص دون اعتبار للوقت، فمن خلال التواصل الرقمي المستمر يصبح الأفراد فيه في وضعية لا وقت، أو عالم تتلاشى فيها أهمية الوقت. مادام أن إمكانية التواصل متوفرة من خلال الشاشة والشبكة، فالتركيز يكون منصب على استمرارية التواجد في العالم الافتراضي لما يوفر له من أريحية وحضور مع الآخرين. وبالتالي يساهم هذا في بلورة ثقافة التوقع عن الذات التي تشبه شكلا من أشكال القبيلة الجديدة، وهذا نتيجة التفكك والعزلة الاجتماعية، حيث يعبر أحدهم عن هذا قائلا: "قد يغمرنا ويرهقنا التركيز على شيء ما بشكل يسلبنا القدرة على التركيز على ما سواه، حيث يتلاشى الوعي الذاتي ويمحي الشعور بالزمان والمكان" (مجموعة من الكتاب، 2016، صفحة 72).

أهمية المكان ضرورية عند كل المخلوقات وخاصة الانسان، لأنها توحى بالإستقرار، والتواجد الفعلي والإستمرارية. الأمر الذي يجعل من الضروري أن يعيش الفرد في مكان يضمن له الأمن، والتعايش مع الآخرين من خلال التفاعل اليومي. لذلك لم يعد البيت مجرد فضاء محدودا بجدران ومقسما إلى غرف وممرات وأثاث، وفيه ناس، بل يحمل معنى أوسع من ذلك فهو لا يضم العائلة فقط، بل يضم الغرباء من كل نوع، إنه يضم في عضويته المعارف والأصدقاء... الخ. فيه حدود جغرافية، وزمنية معينة. بل أصبح البيت بالمفهوم المعاصر فضاء الإمكانيات لا نهاية من المؤثرات التي تصدم بالجهاز العصبي، وتؤثر في امكانيته على الخيال والتذوق، وتتدخل في تكوينه وتشكيله برغباتنا وعدم رغبتنا (محمد، 2008، صفحة 171). ولعل هذا يترجم حالة البيوت الذي اصبحت تختصر على جدران يسكنها أفراد يضيفون لها نوع من الديكور بحضورهم الجسدي، ويجعلونها في حالة سكون نتيجة غيابهم الروحي، والعقلي الذي أصبح أساس الفضاء الافتراضي، فالحال يماثل الإستقالة الصامتة في العلاقات بين الأفراد، فكل فرد مستقل عن الآخرين بعالمه الخاص الذي تملأه برامج، وتطبيقات وتفاعلات كونية، تجعله يحس بالإنتماء إليه نتيجة ما توفر له البيئة الرقمية من حرية التعبير، والتواجد والتفاعل المفتوح على الآخر بدون قيود أو شروط، غير البيئية الواقعية التي يعيشها فعلا، والتي تفرض عليه فيها جماعة الإنتماء سلطتها، وضوابطها في تفاعلها وتعاملها. وبالتالي هذا التغييب الذي يفتعله الأفراد من خلال الإنسحاب الطوعي من الحياة الإجتماعية الجماعية بتواجدهم المستمر في العالم الافتراضي، يؤثر على جودة الحياة لديهم مع مرور الوقت. لذا يقول "ليون فستينجر" أنه لا يمكن للفرد أن يخلق مفهوما للذات في غياب هوية جماعية، إن خيانتك لمجموعتك تعني خيانتك لنفسك (جون، بدون سنة، صفحة 157). إن الانفصال الوجداني للأفراد عن من يتقاسمون معهم الفضاء، والزمان نحو العالم الافتراضي، جعلهم عاجزون عن العيش خارج هذا الأخير الذي سلبهم الإحساس بصدق الواقع، وضرورته في تكوين شخصيتهم وعلاقاتهم مع الآخرين،

فالحرية والتحرر التي يعتقد الكثيرون أنهم يتحصلون بالإنغماس فيما يقدمه العالم الافتراضي، ما هي في حقيقة إلا نوع من "الإستعباد الجديد" للآخر، لأن قيمة الفرد تكمن في أنه يصبح تكملة عدد لما يقدم على الشبكات من خلال استطلاعات الرأي، أو تعبير بالأعجاب... الخ. هذه الوضعيات التي جعلت أفراد في وحدتهم يشكلون مجموعا لإستراتيجيات عالمية. حيث يشير العالم الانثروبولوجي "شيري تورك" في كتابه "وحيدا ضمن المجموع" >> يعطينا الغلو في الإتصال إحساسا أننا متصلين خارج الحدود والثقافات واللغات والحال أننا مغلقين على أنفسنا، كل في كون إفتراضي منفصل عن العالم». (دوغان ولابي، 2020، صفحة 49).

خاتمة

إن الحديث عن الإدمان الرقمي وعن أثره في تغيير البنية الاجتماعية والعلائقية في المجتمع. لا ينسبنا عن مزايا التي وفرتها الثورة الرقمية في العالم، خاصة في الجانب المادي، إلا أنه لسوء الإستعمال أثرا كثيرا على جودة الحياة الاجتماعية. فمن خلال تهافت الأفراد على هذه التكنولوجيا دون معرفة ودراية بعواقبها السلبية على الحياة الاجتماعية للبشر، خلقت عندهم رؤية جديدة للواقع الذي يعيشون فيه، حيث حدث نوع من الإنسلاخ من ما هو موجود نحو ما هو متوقع افتراضيا. وبالتالي التغيير، والتحول التي جاءت به الثورة الرقمية غير معطيات الثورات التي سبقتها (الثورة الزراعية والصناعية)، حيث ذكر فيريرو أن "الآلات هي برابرة العصور الحديثة لأنها دمرت أجمل نتاج الحضارة القديمة" (جون، بدون سنة، صفحة 139)

حين قال ارخميدس: "هبوني رافعة ونقطة ارتكاز وسأحرك العالم" (دانيال، 2022، صفحة 19)، لم يكن يعلم بانه سيأتي فيه يوم على هذا العالم، وستحركه شبكات الرقمية وشاشاتها ليس فقط على المستوى المادي، وإنما قلبت كل موازين البنى الاجتماعية، الأنساق والعلاقات الاجتماعية... الخ. وبالتالي عملت هذه الشبكات الرقمية على زعزعة هرمية بنايات

الاجتماعية، من خلال خلق مجتمع مجزأ بشكل متزايد، الأمر الذي يوحى بظهور "جغرافيا اجتماعية جديدة" في المجتمع، قوامها فردانية جماعية جديدة في مقابل الفردانية الشخصية التي عرفتتها المجتمعات الماضية.

ولأن العالم الافتراضي أصبح يهدد العالم الواقعي، أصبح يسيطر على الأفراد ثقافة الوهم والتفاهة. واندثرت فيه القيم الأخلاقية والمعايير الاجتماعية، وظهر "الذات أنا على روح الجماعة"، حيث طغت الأنانية وحب الذات، والسعي على الشهرة، وجمع المال من خلال استغلال الآخرين، ونشر الغش والخداع.. الخ، فخطر هذا الإدمان الرقمي جعل الحياة المادية تغطي على الحياة الاجتماعية بين أفراد المجتمع، حيث تقول "شيري تيركل" هناك خطر أن نصل إلى الحد الذي نرى فيه الآخرين مجرد كائنات يراد الوصول إليها، بل ولا نرغب إلا في الوصول إلى الأجزاء التي نجدها مفيدة أو مريحة أو مسلية فيهم" (مجموعة من الكتاب، 2016، صفحة 54).

لذا فإنه من الضروري أن تتحد جهود كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي مقدمتها الأسرية، على محاولة علاج هذا الوضع الذي بات يهدد مستقبل المجتمعات، حيث قال الطبيب النفسي دان سيج: "تتشكل عقول الأطفال من خلال تفاعلهم مع الآباء لذا لا بد أن نملاً عالمهم الواقعي والافتراضي قبل أن يستبدلوننا بالشاشات الإلكترونية" (مجموعة من الكتاب، 2016، صفحة 25).

وعليه فإنه جميل أن ننفث عن العالم. وأن نتقن استعمال تكنولوجيا الثورة الرقمية، لكن الأجل أن يقترن هذا بتنشئة الحياة الاجتماعية ومختلف العلاقات في المجتمع (من روابط اجتماعية، وتفاعلات واقعية بين الأفراد. فالمسؤولية الكبرى تكمن في وعي الأفراد وتمكنهم من التحكم واستعمال التكنولوجيا فيما فيه الفائدة للجميع. فكما يقول المهاتما غاندي: "أريد أن تهب الثقافات من كل انحاء الأرض بمحاذاة منزلي وبكل حرية، ولكنني أرفض أن تقتلني أي واحدة منها من مكاني".

المراجع والمصادر

- الآن دونو، ترجمة مشاعل عبد العزيز الهاجري، نظام التفاهة، (دار السؤال للنشر بيروت، لبنان، ط1، 2020)
- مأمون طربية، كتاب علم الاجتماع في الحياة اليومية : قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشه، (دار المعرفة بيروت لبنان، ط1، 2011)
- محمد امين ابراهيم، الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة. ابحاث ودراسات مؤتمر الطفل العربي (دار العلوم للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2008)
- د جبريل بن حسن العريشي وسلمى بنت عبد الرحمان محمد الدوسري، الشبكات الاجتماعية والقيم : رؤية تحليلية، (دار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن. ط1، 2015)
- جون ديوي، ترجمة خيرى حماد ومروان الجابري، الفردية قديما وحديثا (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون سنة)
- دانيال كوهين، ترجمة علي يوسف اسعد، الانسان الرقمي والحضارة القادمة (صحة 7 للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2022)
- هينر أ. هورست ودانييل ميلر، ترجمة خالد الاشهب، الانثروبولوجية الرقمية (هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، مملكة البحرين ط1، 2020)
- طلال إبراهيم المسعد، الادمان الالكتروني (المركز العربي للتأليف وترجمة العلوم الصحية، الكويت، ط1، 2020)
- مجموعة من الكتاب، الأسرة والجيل الرقمي (قنديل للطباعة والنشر والتوزيع، دبي، الامارات المتحدة العربية، ط1، 2016).